الأربعاء ٢٨ تموز ١٩٩٩

قضايا النهار

مناقشة

الحريري بين أخصامه وأتباعه

شبلي ملاط

لا مجال الا للترحيب بدراسة رفيق الحريري التي نشرتها الصحف الاسبوع الماضي. قد تكون هذه الدراسة متأخرة اليوم، ولكانت فائدتها أعم لو أتت في الشهور الاولى التي تولى صاحبها الحكم او في الاسابيع التي تلت مغادرته سدة رئاسة الوزراء. ولعل هذه الدراسة تشكل عرضاً شاملاً لما ينتظره الناس، ومعياراً اساسياً يمكن خلاله التعرف الى سنوات الحريري في ضوء برنامج متماسك ورؤية مركزة.

وكنا حاولنا على هذه الصفحة، ومن طريق "دار النهار"، تشجيع نقاش عام وعلمي على شاكلة تداول مفتوح ومعلل في التسابق المسؤول الى "الانتخابات" الرئاسية في الصيف الماضي؛ وان كانت المناسبة فاتت البلاد يومها، ورئيس الحكومة السابق نفسه مسؤول أيضاً عن غياب النقاش التنافسي مدخلاً لعهد جديد. لكن لا بأس من فتح الباب على سلوك حضاري في الحياة العامة وان جاء متأخراً.

فالدراسة مساهمة مهمة في السياسة العربية المعاصرة، كان الرئيس اليوسفي ابتكرها في المغرب، بل هي المدخل الذهبي الى الريادة السياسية في المجتمعات الحديثة، على المستوى العالمي؛ ومثل "مانيفستو" الحريري يتقدم على برامج الاحزاب السياسية المعهودة في ترفعه عن الارقام الجافة والتركيز على اسلوب يأخذ الماضي في الاعتبار ليرسم ما يحمله من امكانات حقيقية للاصلاح المستقبلي.

وفي المقابل، فان اللجوء جواباً الى "مصدر عسكري" مجهول الهوية يشكل ترداداً وعودة الى سياسات الظل والاغفال التي لا محل لها في الديموقراطية المعاصرة. ولا شيء في عالمنا اليوم يفيد التستر عنه في ضوء تضافر المعلومات وتكاثرها، لا سيما ان سياسات الامن لها أيضاً سعرها وضوابط موازناتها المعلنة في عهد تتقلص الموازنات العسكرية في العالم كله.

فالحكومة، وبالتحديد وزيرا المالية والدفاع فيها، هي المسؤولة عن مثل هذه الردود – متى دعت الحاجة العامة اليها –، وليس كما جاء في زلة حديثة أخرى، "مصدراً مجهولاً" في وزارة الاعلام. فاما ان تكون الحكومة مقتنعة بسياساتها وبياناتها في الحقل العام وتدافع عنها تالياً في حزم وعزم في وجه المعارضة، واما عليها ان تعدلها في ضوء انتقاد المعارضين.

ليس من حل وسط في هذا المجال، وليس من مكان لسياسيي الظل في وزارات الاعلام والدفاع وغيرها. وهذا حادث الاسبوع الماضي امام الكونغرس عندما انبرى مدير جهاز المخابرات الاميركي جورج تينيت ليشرح على الملأ اخطاء الوكالة في ضرب السفارة الصينية في بلغراد. ولا حرج اذا تحمل مدير الاستخبارات تبعة اعماله وتقصيره في العلن، ولا بأس في اقتفاء خطوة اكثر الاجهزة سراً في العالم اذعاناً لضرورة تحمل التبعة السياسية أياً تكن.

وفي المضمون، سوف تؤدي معالجة الحريري الى انشراح الاقلام ذماً وتقريظاً. ولا بد من مثل هذا الانبساط التدقيقي، لأنه وحده كفيل بانفتاح المجتمع السياسي. بما فيه اتباع الحريري انفسهم، كما تتطلع اليه الجدية في ممارسة الحياة العامة، وكما نأمل ان تتعلم خلاله الحكومة على ارهاف حججها وسياساتها.

ومن انفتاح النقاش على مصراعيه يرجى ان تنطلق ظاهرة اساسية في المستقبل اللبناني، وهي ظاهرة "المعارضة" الثابتة والمعللة. ليس الرئيس الحريري معتاداً على وجوده معارضاً، ولو كانت هذه الصفة من أهم السمات التي يمكن رجل دولة ان يعد نفسه لها. اما اذا كانت دراسته مدخلاً الى "مانيفستو المعارضة"، فأهلاً بمثل هذه المقدمة مرتين، لأنها مفتاح الحياة العامة السليمة، وبدء الشفافية الصادقة في الدولة.

محام وبروفسور في كلية الحقوق، جامعة القديس يوسف، من كتبه "الرئاسة اللبنانية بين الامس والغد" الصادر عن "دار النهار".